الزواج السياسي في الحضارات القديمة

((حضارات الشرق الأدنى القديم وحضارات البحر المتوسط))

تختص هذه الدراسة بموضوع هام ساهم في تكوين العلاقات بين الإمبراطوريات والدول في العالم القديم، وهو موضوع **الزواج السياسي** الذي كان شائعًا في كثير من الممالك القديمة.

في هذه الدراسة نتعرّف على ماهية الزواج السياسي، ونتناول أهم الحضارات التي كان لها السبق في هذا النوع من العلاقات، وسنتعرّف على مدى تأثيره على القرارات والخيارات السياسية في ذلك الوقت.

أيضًا سنتناول تأثير الزواج السياسي على امتداد النفوذ وتكوين الولاءات بين الدول الأمم.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب أستعرض أهمها في نقطتين رئيسيتين هما:

1. من حيث أهمية الموضوع وقلة الإشارة إليه في كثير من الدراسات السابقة بالشكل الكافي أو تخصيص دراسة مستقلة له وخصوصًا في بلادنا.
2. رغبتي الشخصية في دراسة هذا الموضوع وإبرازه وتسليط الضوء عليه، وتوضيح مدى أهمية العلاقات الإنسانية منذ القدم في تغيير مسارات وخيارات الدول والشعوب.

وتهدف هذه الدراسة إلى إظهار دور الزواج السياسي كما أسلفت في توطيد العلاقات بين الدول وأحيانًا تغيير تأثيرها ومناطق نفوذها تبعًا لهذا الارتباط الإنساني ذو الأبعاد السياسية.

- أما منهج الدراسة فهو منهج البحث التاريخي بالإضافة إلى منهج البحث التحليلي الذي يعتمد على دراسة الحدث التاريخي بكل عناصره للتوصل إلى الحقائق التاريخية قدر الإمكان.

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين رئيسين هما:

1. المبحث الأول: الزواج السياسي في حضارات الشرق القديم.

أ- مصر القديمة.

ب- بلاد العرب

جـ - بلاد ما بين النهرين.

2. المبحث الثاني: الزواج السياسي في حضارات البحر المتوسط.

أ- عصر الإسكندر المقدوني.

ب- البطالمة في مصر، السلوقيين، إفريقيا الرومانية.

جـ - الرومان.

3. الخاتمة:

وهي تتعلق بخلاصة ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

4. قائمة المصادر والمراجع.

تعريف الزواج في الحضارات القديمة:

يُعرّف الزواج بأنه أرقى آلية ضبطية ابتكرها الإنسان في تأنيس الغريزة الجنسية عند البشر[1]، ولم يكتفِ عقل الإنسان بهذا القدر الضبطي والتنظيمي، بل منح هذه الآلية صفة مقدسة بواسطة عقد يخضع لطقوس ومراسم دينية مباركة تُمَارس داخل المعابد؛ ليأخذ صفة الإشهار والإعلان الديني أمام النّاس، وليُعزّز علاقة الرجل بالمرأة ويخضعها إلى ضابطين:

الأول: اجتماعي عُرفي؛ ليجعل خروج الإنسان عنه صعبًا ومُعابًا اجتماعيًا ودينيًا.

الثاني: ديني مُقدّس.

ومن الناحية الاجتماعية تعني نظام اجتماعي وقانوني تتمثل فيه بُنية الجماعة، فتتجلّى فيها طبائعها وخصائصها[2]، وإذا أردنا أن نتتبع تقاليد الزواج والنظام الأسري في مصر القديمة مثلًا ـ وهي خير مثال على موضوع الدراسة ـ فأننا لا نجد الكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع ولا نعرف على وجه الخصوص على الطقوس المصاحبة له إلّا أنه من المرجّح أنه كانت هناك عقود قانونية كما يبدو من أقوال الحكماء[3].

وكذا فإن الزواج في الحضارات الشرقية الأخرى لا يختلف عن الزواج عند المصريين القدماء ففي بلاد النهرين والحيثيين كانت عادات الزواج واحدة تقريبًا تحتوي على كافة مراسم الزواج التي تبدأ بالخطبة وتبادل الهدايا ومن ثم إشهار الزواج.

وعلى الأرجح فإن المرأة في الحضارات الشرقية حظيت ببعض الامتيازات التي تصل أحيانًا لأن تكون فيه تبعية الأبناء للأم وليس للأب ويبدو ذلك واضحًا خصوصًا في بيت المالك حيث تكون الملكة تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال وكانت الملكة الوالدة بالذات ذات مكانة خاصة ولها من الألقاب ما تحتفظ به طوال حياتها ولا ينتقل إلى زوجة الملك الحاكم إلا بعد وفاتها [4]

ولا أرى عجبًا أن يكون الارتباط بالنساء من البيت المالك وسيلة للتقرب والوصول إلى المناصب العليا في الدولة وليس غريبًا أن تصبح تلك الظاهرة شائعة بين المالك لتحقيق المكاسب وللمحافظة على المصالح المتبادلة بينها.

أولًا: الزواج السياسي في الحضارات الشرقية

أ ـ الحضارة المصرية القديمة.

ب ـ بلاد العرب.

جـ ـ بلاد ما بين النهرين.

الزواج السياسي في الحضارة المصرية القديمة:

لم تنتشر عادة الزواج بأكثر من زوجة واحدة إلّا في الطبقات الدنيا أو عند الملوك وحكام الأقاليم وذلك لأسباب تتعلق بالوراثة أو لأسباب سياسية، وتُرجح الباحثة إن مصر القديمة كانت من أكثر الحضارات التي برزت فيها هذه الظاهرة، وعلى ما يبدو أنه في بداية الأمر لم تتعدَ الأقاليم الداخلية وحيث استغلت هذه الظاهرة في ربط الأواصر وجمع الولاءات لأحد أمراء أو وجهاء الأقاليم.[5]

وتُعد مصر ـ كما أسلفت الذكر ـ نموذجًا مثاليًا لظاهرة الزواج السياسي عبر التاريخ. حيث نجد تكرار هذا النوع من الزواج لدى أغلب فترات حكم الفراعنة في مصر على وجه التحديد، ونلحظ ذلك منذ العصر المبكر لهذه الأُسر، وسنعرض أمثلة كثيرة على ذلك لنبدئها بالترتيب من الأقدم إلى الأحداث[6]

1ـ المملكة القديمة أو عصر بناة الأهرام (2670 - 2150 ق.م)

يعد زوسر ويعني اسمه (المقدس) أول ملوك الأسرة الثالثة[7]، واتسم عهده بالوحدة السياسية في مصر القديمة، وصل زوسر للحكم عن طريق أمه إذ أن زوسر هو ابن الملكة (تي ماعت حب) من زوجها ملك مصر السفلى الذي قتل خلال صراعه مع (خع سخوى) فأصبحت (تي ماعت حب) ملكة لمصر العليا والسفلى فورث ابنها زوسر الحق الشرعي للجلوس على عرش الجنوب وتأسيس أسرة ملكية جديدة، ومن ثم أصبح زوسر يحوي في شخصه الصفة الإلهية عن طريق بنوتة لملك الشمال وبنوتة للملكة الأم فاستطاع حكم مصر بعد الارتفاع بنفسه إلى مصاف الآلهة.[8]

2ـ عصر الدولة الوسطى 1990 ق.م - 1785 ق. م

على الرغم من أن عصر الدولة الوسطى شهد كثيرًا من التقدم والرخاء، والاستقرار الداخلي والخارجي إلّا أنه أيضًا يمثل فترة عصيبة من تاريخ مصر القديم ولا نكاد نجد ذكر لأي نوع من المصاهرات السياسية لملوك مصر مع أي كيانات خارجية، فهذا العصر شهد كثيرًا من الحروب والانقسامات امتدت لأكثر من 170 عام، وشملت هذه الحقبة أيضًا دخول الهكسوس* لمصر عبر صحراء سيناء.[9]

وترى الباحثة أنه من الواضح أن علاقات مصر الخارجية ـ شأنها شأن أي دولة ـ تتراجع وتتقلص سواء أكانت مصاهرة أو علاقات تجارية أو حضارية في ظل الفوضى أو دخول البلاد في حروب داخلية أو تعرضها لغزو خارجي إذا أنه عادة ما تنشأ العلاقات الثابتة والمستقرة مع الكيانات التي تحافظ على ثباتها واستقرارها.

3ـ عصر الدولة الحديثة (1550 ـ 1070ق.م)

يزخر هذا العصر بكثير من الأمثلة على الزواج السياسي داخل البلاط الملكي المصري لتثبيت حكم الولاية على العرش أو للمحافظة عليه ومن ذلك زواج الملك أحمس الأول (1570-1516ق.م) مؤسس الأسرة الثامنة عشر من نفرتاري وهي شقيقته تأكيدًا على حقه في العرش خلفًا لوالديهما استمسك بما استمسكت به الأنظمة القديمة المستقرة من مركزية وادعاء للحق الإلهي والقول بالوراثة المقدسة والبنوة للآلهة الكبار.[10]

ونجد أمثلة للزواج السياسي في عصر الدولة الحديثة بعد وفاة (أمنحوتب الأول) نشب صراع على وراثة العرش بسبب عدم تركه وريثًا يرث عرشه من بعده وانتهى هذا الصراع بتولي ـ (تحتمس الأول) (1506-1443 ق. م) ـ لعرش مصر عن طريق زواجه من الأميرة (أحمس) ابنة (أمنحوتب الأول)[11].

وقد تنازل (تحتمس الأول) قبل وفاته عن عرشه لابنه (تحتمس الثاني) (1493- 1479 ق.م) وزوجه من ابنته (حتشسبوت) إلا أنه توفي بعد فترة قصيرة من هذا الزواج.[12]

والحقيقة أن الزواج داخل البلاط الملكي كان مألوفًا في مصر القديمة والامثلة عليه كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ولكني سأحاول ذكر المهم منها فقط ولا يخفى على أحداث هذا النوع من الزواج كان يتم لغرض تثبيت حق أحدهم في الولاية على العرش وللمحافظة على نقاء الدم الملكي.

وكما أشرت في مقدمة الورقة البحثية فقد اعتمد عدد من ملوك مصر أسلوب المصاهرات السياسية مع الدول الخارجية وبعض الدول المجاورة لتوطيد العلاقات لأجل المحافظة على الحدود وفرض السيطرة عليها عن طريق كسب ولاء الدولة التي يقومون بمصاهرتها.

ففي عهد تحوتمس الرابع مثلًا 1411 ق.م - 1397 ق.م - وهو أحد ملوك الدولة الحديثة[13] - نجده يقوم بتثبيت أركان دولته عن طريق توثيق روابط الصداقة والتقارب بينه وبين الميتانيين* للحد من أطماعهم فقد رأى أن أفضل تدعيم لتلك الصداقة هو رباط المصاهرة، فأقدم على الزواج من الأميرة الميتانية ابنة الأمير الميتاني (أرتاتاما) ومما يلاحظ بعد هذا الزواج انتهاء الحملات العسكرية لتحوتمس الرابع ضد ميتاني في آسيا كنتيجة مباشرة لهذا الزواج السياسي ويرى كثير من علماء المصريات أن الأميرة الميتانية قد حظيت بمكانة مرموقة في البلاط الملكي المصري حيث أنها جاءت إلى مصر في حاشية من النساء الميتانيات وقد أطلق عليها الاسم المصري "موت أم ويا " وأصبحت إحدى الزوجات الرئيسيات لتحوتمس الرابع وأم خليفته الملك" أمنحوتب الثالث[14].

كذلك استجابت مصر لمساعي الأسرة الكاشية التي تحكم بابل من حوالي عام 1595ق.م والتي أرسل ملكها كارينداش لإ قامة علاقات دبلوماسية مباشرة مع مصر وليدعم تلك العلاقة أرسل ابنته لتتزوج من الفرعون المصري والذي يُعتقد بأنه تحوتمس الرابع[15].

استمرت العلاقات بين مصر وميتاني في عهد أمنحوتب الثالث بشكل جيد وكانت مدعمة أيضًا بالزواج السياسي وكذلك الحال بالنسبة للدوويلات الأخرى فقد كانت الظروف الدولية التي وجد

فيها امنحوتب الثالث في مجملها ظروف يسودها علاقات الود والتقارب وخصوصًا مع الدويلات السورية والفلسطينية وبلاد النهرين وآسيا الصغرى، وقد سار امنحوتب الثالث على سياسة أبيه تحوتمس الرابع ففي السنة العاشرة من حكمه تزوج من جيلوفيبا ابنة الملك الميتاني والتي حضرت لمصر في حاشية من الحريم يبلغ عددها 317 امرأة، وقد وثّق امنحوتب الثالث مقدم عروسه الميتانية في أربع مجموعات من الجعلان* ويشير ذلك لمدى قوة الفرعون، كما أن هذه الأميرة لم تحمل ألقاب ملكية ولم تكن الوحيدة وإنما وُجدت إلى جانب أميرات كثيرات في البلاط المصري.

كذلك الأمر بالنسبة لبابل فلقد تزوج امنحوتب الثالث على الأقل أميرتين أحدهما ابنة الملك البابلي " كاردوناش" والثانية ابنة أخيها " كادشمان خاربي" أو كادشان أنليل الذي وافق على زواجها من الفرعون المصري ولكنه اشترط وصول الذهب أولًا حتى يستطيع أن يستكمل بناء أحد قصوره.[16]

ويبدو أن العلاقات بين مصر وبابل كانت بمثابة علاقات الأقوى والأقل قوة لأن الملك البابلي قد أظهر استياءه أكثر من مرة في رسائله التي تضمنت أحيانًا شكواه ومنها أن الفرعون امنحوتب الثالث لم يرسل للاطمئنان على صحته عندما كان مريضًا ومرة أخرى عندما تأخر رد الفرعون المصري عليه لمدة ست سنوات.[17]

ولابد لنا من الإشارة هنا إلى أن هذا الزواج كان من جانب واحد ـ على الأقل في هذه الفترة ـ فعلى الرغم من ترحيب امنحوتب الثالث بالزواج من أميرات أجنبيات.

إلّا أنه يرفض طلب أي من هؤلاء للاقتران بأميرات مصريات وربما كان مبعث ذلك تقليد وراثة العرش في مصر الذي كان عن طريق المرأة ولذا فإن دماء الفراعنة ليست كدماء الفراعنة ليست كدماء غيرهم.

وبالرغم من تعالي الفرعون الذي يعكس مركز مصر وقوتها فإن ملوك الشرق القديم ومنهم بابل كانوا يدكون أهمية صداقة مصر وقيمتها فهم في حاجة إلى ذهب مصر الأمر الذي دفع الملوك البابليين لإرسال بناتهم ليكن زوجات ملوك الفراعنة المصريين حيث رأينا خليفة كادشمان تليل الملك بورنابورياش الثاني يرسل ابنته إلى امنحوتب الرابع "اخناتون" لتكون ضمن حرسه أيضًا تزوج امنحوتب الثالث من أبنة حاكم أرزاوواء* الملقب تارخان درادو ويبدو أن هذا الملك أراد أن يقوي مركزه في بلاده فدخل في حلف مع امنحوتب الثالث الذي كتب إليه باستخفاف طالبًا من إرسال ابنته لتكون زوجة له.[18]

وتُرجح الباحثة إن المصادر المصرية فيها كثير من المبالغة لأن كل من هو على إطلاع على تاريخ البابليين والأشوريين والحيثيين مثلًا يرى بأنهم كانوا على نفس مستوى قوة الدولة المصرية في كثير من الأحيان فإنهم بطبيعة الحال قد جرى بينهم وبين مصر تبادل الهدايا والسفارات وأن ظاهرة الزواج لم تكن سوى طريقة للتعبير على التقارب والعلاقات الودية بين ملوك الفراعنة والدول التي يقومون بإقامة علاقات مصاهرة معها.

وتميل الباحثة إلى أن ظاهرة الزواج السياسي أصلًا هي فكرة شرقية مصرية على وجه التحديد.

وفي عهد امنحوتب الرابع وفي ظل الظروف السياسية وانشغال أخناتون بثورته الدينية وبدعوته إلى عقيدة التوحيد[19] معتقدا أنها الوسيلة المُثلى لتوحيد الإمبراطورية المصرية اعتمد إلى جانب ذلك علاقات المصاهرة بالدول المجاورة كسبيل لتحقيق أهدافه فأتخذ زوجتين أجنبيتين الأولى هما الأميرة الميتانية" تادوخيبا" التي أرسلها" تواشرتا" إلى حريم أبيه ثم انضمت إلى حريم اخناتون وعلى ما يبدو أن الملك الميتاني كان مسرورًا بهذا الزواج الذي وافق مصالحة السياسية أيضًا.[20]

وفي السنة الخامسة عشرة من حكم أخناتون تزوج من أميرة بابلية وهو زواج ويتضح فيه أيضا الجانب الاقتصادي بجانب الناحية السياسية لأن الهدايا التي كان الملك البابلي يرسلها مع

رسوله أو مع العروس كانت عبارة عن عربات وجياد وبالمقابل كان الفرعون يرسل له هدايا كثيرة ولعل أهمها الذهب.[21]

أيضا وجدت ضمن حريم أخناتون ابنة الأمير السوري "شانيجا" وكذلك ابنة أمير" آميا" "لبنان حاليًا" وعلى الأرجح أن الدافع لهذه الزيجات مادي بالإضافة إلى الدافع السياسي حيث اعتاد حكام المدن السورية أن يرسلوا الجزية ومعها عشرات من الفتيات الجميلات.[22]

وتجدر الإشارة هنا إلى حدث غير مسبوق وهو جود أثار تدل على احتمال زواج أميرات مصريات في عهد امنحوتب الرابع من أمراء سوريين فقد عثر في منطقة أوجاريت على آنية من البلاستير فنقش عليها صورة لسيدة من البلاط المصري مع نيقاملو الثاني ملك أوجاريت الذيكان معاصرا لامنحوتب الثالث وعلى الأرجح إن هذا الزواج ثم في عهد ابنه امنحوتب الرابع "أخناتون"[23]

كما تؤيد الباحثة قول البعض أن هذا الزواج قد تم ليدعم العلاقات بين مصر وأوجاريت خلال عصر امنحوتب الثالث.

إضافة إلى ما سبق إشارة بعض الروايات الحيثية إلى رسالة مكتوبة باللغة المسمارية عثر عليها في العاصمة الحيثية بوني زكوي حررتها إحدى ملكات مصر تطلب فيها الزواج من أمير أجنبي وتمنحه عن طريقها شرعية العرش الأمر الذي جعل الملك الحيثي " مورشيل الثاني" 1260- 1330 ق. م ابن " شوبيلوليوما" يذكرها في حولياته.

تتضح رغبة الملكة الأرملة في الزواج من الأمير الحيشي الذي إن تزوج بها سوف يكتسب بهذا الزواج الحقوق الوراثية لتولي عرش الفراعنة.

ولم يتم هذا الزواج لأن الأمير الحيثي قُتل قبل أن يدخل أرض مصر بأمر من الأب الإلهي " آي" الذي يرجح أنه يعرف "حور محب" وكان يتولى أيضًا قيادة الجيوش المصرية تلك الفترة

وترجح بعض المصادر أن هذه الملكة الأرملة هي نفسها الملكة نفرتيتي زوجة الملم اخناتون فيما تنفي بعض المصادر الأخرى ذلك.[24]

ومما سبق نتوصل لحقيقة هامة وهي أن حالات الزواج السياسي أدت لتقوية الروابط بين ملوك ومعاصروهم من ملوك الدول والممالك المجاورة ومن هنا كانت الضرورة تحتم عليهم في حالة وفاة ملك أي من البلدين أن يتم زواج جديد وروابط جديدة حتى يتم التواصل الرائع بين البلدين وبالتالي تبادل المصالح بينهم.[25]

أما في عصر الرعامسة (الأسرة التاسعة عشر من 1308 - 1194ق.م) فقد وطد الملك رعمسيس الثاني 1290 - 1224 ق.م علاقته مع الملك الحيثي خاتوسيل الثالث عبر الزواج من ابنته الكبرى والتي حصلت على مكانة رفيعة في البلاط المصري فلقبت " ابنة الحاكم العظيم خيتا"

كما شهد هذا العصر أيضًا زواج رعمسيس الثاني من الابنة الثانية للملك خاتوسيل الثالث.[26]

وتجدر بي الإشارة هنا إلى أن استمرار هذا النوع من الزواج إنما يعكس الفائدة العظمى للطرفين من وراء هذا النوع من المصاهرات إضافة إلى إنه يعكس العلاقات الودية والطيبة بين الدول التي تتم المصاهرة السياسية بينها.

كما تزوج الملك رعمسيس الثاني من إحدى الأميرات البابليات ويعتقد بأنها ابنة الملك " خادشمان أنليل الثاني من سوريا الشمالية وهي ابنة ملك يسمى زلابي ومن الواضح أن هدف بابل من هذا الزواج هو ضمان حليف قوي في مواجهة آشور بينما كان دافع الأمير السوري هو دافع مادي.[27]

ممالك الجنوب العربي القديم (اليمن) وبلاد الحجاز

أما فيما يتعلق بجنوب شبه الجزيرة العربية فنجد أمثلة لهذا الزواج في ممالك اليمن القديم ومن أشهرها مملكة كندة في القرن الخامس قبل الميلاد، وارتبطت فيما بعد للملكة الحميرية ومن أشهر ملوكها (حجرً آكل المرار) ويتصف هذا الملك بأنه ذو رأي ووجاهة وحسن السيرة والسلوك والسياسة، وقد استخدم المصاهرة السياسية سبيلًا لتوطيد علاقاته الخارجية لاسيما مع جيرانه.[28]

ثم تولى حكم كندة الملك الحارث بن عمرو الذي سار على نهج أبيه وجدّه في مصاهرته للقبائل العربية المجاورة له كبكر وتغلب؛ ليتمكن من مدّ نفوذه على أجزاء كبيرة من شبه جزيرة العرب.[29]

مكة:

كانت السيادة في مكة لقبيلة جرهم، ثم انتزعتها منهم خزاعة التي وفدت إلى مكة بعد السيل العرم ونزلت بظاهرها.[30]

كان لزواج قصي من ابنة زعيم خزاعة حليل بن حبشية الخزاعي، أثره في التمهيد للزعامة من خلال توثيق صلاته مع قومه وغيرهم من القبائل المحيطة بمكة، وبذلك تمكن من تولي زعامة مكة بعد وفاة حليل الخزاعي، واستخدامه القوة مع معارضيه لدرجة أنه طرد قبيلة خزاعة حينما عارضت زعامته للمدينة وأحلت محلها قبيلة قريش التي كانت تعيش حياة البداوة بأطراف مكة، وبذلك أصبح سكان مدينة مكة من أبناء قريش"

- **بلاد ما بين النهرين**

الأشوريين:

أشور أول دولة قامت في شمال بلاد ما بين النهرين وتوسعت في الألفية الثانية ق.م وامتدت شمالًا لمدن نينوي، وقد اشتهرت أشور بقدرتها العسكرية والقتالية.

تنافس الكاشيين مع الأشوريين في كسب صداقة فراعنة الدولة المصرية الحديثة ولكن مع ذلك كان ملوك الكاشيين يملكون سبيل المداراة حتى مع منافسيهم الأشوريين والمثال على ذلك اضطرار الملك الكاشي لعقد صفقة زواج سياسي عندما تزوج ابنة الملك الأشوري القوي (آشور ـ أوبالط) 1365-1330 ق.م وقد هدف من وراء ذلك التدخل في شؤون البلاط البابلي وقد واتته الفرصة حينما قتل زوج ابنته في انقلاب عسكري ونصب على العرش البابلي أحد مناصريه من البابليين.

- **بلاد ما بين النهرين (بابل)**

كما نجد أمثلة لهذه المصاهرة السياسية عند قدماء العراقيين وتحديدًا في بابل حيث نجد ملكها نابو بولاصر 562-634 ق.م تتوافق مصالحه مع مصالح ملك الميديين* فيعقد الطرفان معاهدة للقضاء على الأشوريين وكان من بين نتائج هذه المعاهدة زواج ولي عهد بابل نبوخذ نصر من ابنة ملك الميديين المسماة آمتيس فتمكن هذا التحالف بالفعل من القضاء على شيك شاراشكن آخر ملوك آشور فانتهت بذلك أعظم إمبراطورية في العراق القديم امتدت لأكثر من ثلاثة قرون.[31]

ويجدر بالذكر أن نبوخذ نصر قام ببناء حدائق بابل المعلقة حتى يخفف على زوجته الميدية ما كانت تشعر به من شوق لموطنها ولم تكن هذه الأخيرة قد اعتادت على شمس بابل الحارة وثراها فعاودها الحنين إلى خضرة بلادها الجبلية فرقّ قلب نبوخذ نصر لها وقام ببناء هذه الحدائق للترفيه عنها ثم عدت هذه الحدائق إحدى عجائب الدنيا السبع.[32]

وهناك ما يشير إلى أن (نبونائيد) الملك الأخير في السلالة الكلدانية 556 ـ 539 ق.م كانت تربطه علاقة نبوخذ نصر نسب ويبدو أن هذه الرابطة كانت الوسيلة الوحيدة لضمان شرعية توليه عرش بابل وذلك من خلال ارتباطه بالعائلة المالكة.[33]

ثــانيًا: الــزواج الســياســي في حــضارات البــحر الــمتــوسط

أ ـ عصر الإسكندر المقدوني.

ب ـ البطالمة في مصر، السلوقيين، إفريقيا الرومانية.

جـ ـ الرومان.

أ- عصر الإسكندر المقدوني: (الحضارة الهلنسية (356 ق.م - 323 ق.م)

زواج الإسكندر المقدوني من أميرة فارسية يُعد أيضًا من أقوى الأمثلة على رواج هذا النوع من الارتباط قديمًا حدث ذلك عندما وقعت الأميرة (روكسان)[34] ابنة الملك الفارسي (أوكسيان مرزبان بقطريا) في الأسر، وقد وقع الإسكندر في حبها مما جعله يعاملها معاملة حسنة كأسيرة حرب، ثم تزوج بها زواجًا شرعيًا، وكانت ثاني امرأة في حياة الإسكندر، فغضب منه الميكيدون واليونانيون، واعتبروا ذلك إهانة في حق الملك المنتصر أن يتزوج أسيرة حرب مهما كان نسبها، وكان هذا الزواج السنوات الأخيرة من حياته في ربيع 327 ق.م.[35]

وقد نتج عن هذا الزواج ابنه الإسكندر الرابع ولي عهده الذي قُتل بعد وفاة الإسكندر والذي بموته طفلًا انتهت كل آمال توحيد الإمبراطورية اليونانية القديمة.[36]

ثم أقدم الإسكندر بعد ثلاث سنوات من زواجه من روكسان بالزواج من أميرة فارسية أخرى هي ستاتيرا الأبنة البكر للملك الفارسي دار الثالث.[37]

وقد أقام الإسكندر عرسًا لم يشهد التاريخ مثيلًا أحيط بمظاهر البذخ والفخامة والأبهة في سرادق ضخم حيطت جدرانه بخيوط الذهب والفضة ورصعت بالأحجار الكريمة والأرائك كانت قوائمها من الفضة وأريكة الإسكندر كانت مصنوعة من الذهب الخالص وفرشت الأرض بالسّجاد الفارسي الفاخر.[38]

وقد استمر العرس خمسة أيام بلغ فيها كرم الإسكندر ذروته حيث أُقيمت الولائم والمهرجانات والألعاب والغناء والموسيقى والتمثيليات، وكل مظاهر التسلية المنوعة، وقد أعفى الإسكندر الجنود المتزوجين من آسيويات من الضرائب، وكانوا قد تجاوزوا العشرة ألاف جندي، وشهد يوم زواج الإسكندر زواج أكثر من ثمانين قائدًا من قادة الجيش من فارسيات أيضًا.[39]

وقد أعطى الإسكندر الأكبر الترقيات لحاشيته مع توزيع أكاليل الغار المصنوعة من الذهب، وكان يشجعهم على الزواج من فارسيات تحقيقًا لفكرة دمج الشرق مع الغرب،[40] فلقد كان الزواج ذا أهداف سياسية إلى جانب هدفه الاجتماعي حيث أقر المؤرخون أن ذلك العرس ذهب معه الخلاف الذي كان بين اليونان والفرس منذ مئات السنين ومن المؤرخون من يعتبره أيضًا رمزًا لقران آسيا مع أوروبا.[41]

- **السلوقيين*** - 312 ق.م - 64 ق.م

وكانت دولة السلوقيين التي أسسها سلوقس سنة 312ق.م، أكبر الممالك الهلنسية حجمًا وأكثرها انسجامًا مع سياسة الاسكندر، فقد كان قائدًا للقطاعات المشكلة من النبلاء والفرس ثم أنه تزوج من أميرة فارسية هي (أفاميا).[42]

الأمر الذي استفاد منه على ما يبدو وكل حكام الإسكندر وخاصة بطليموس مؤسس الدولة البطلمية في مصر.[43]

ويجدر بي أن أشير إلى أن الفتوح المقدونية قد حطمت ما أقامته الحكومات واللغات من حواجز بين الأمم ودعت الشرق والغرب إلى تبادل المصالح التجارية تبادلًا أتم وأفضل ممّا كان بينهما من قبل.[44]

ب ـ البطالمة في مصر ـ كليوباترا ويوليوس قيصر- 47 ق.م

ارتباط كليوباترا السابعة بيوليوس قيصر لم يثبت أنه كان ارتباطًا شرعيًا ولكن نتج عنه إنجاب كليوباترا من يوليوس قيصر ابنًا أُطلق عليه اسم قيصرون والذي مُنح لقب والده واعترف انطونيوس بشرعيته نسبة إلى يوليوس قيصر وقد كان يوليوس قيصر يهدف من وراء إقامة علاقة مع كليوباترا للاستفادة من دخل مصر المهم بالنسبة للجمهورية الرومانية فاستعمل سياسة والدها بدلًا من العنف والقوة، فأقر كليوباترا على الملك على أن تتزوج من أخاه الأصغر.[45]

كليوباترا وأنطونيوس 37-36 ق.م

يُعد أنطونيوس أحد أبرز السياسيين الرومان قبيل سقوط النظام الجمهوري، وكان رجلًا شديد الطموح وحاد الذكاء، واستطاع أن يتقلّد العديد من المناصب السياسية، ودخل عضوًا فاعلًا في الحكومة الثلاثية مع أكتافيوس أغسطس بعد مقتل يوليوس قيصر سنة 44 ق.م، ثم حدث أن أصبحت الحكومة الثلاثية ثنائية واختصرت على انطونيوس في الشرق و اكتافيووس من الغرب وفي هذه الأثناء حدث تقارب بينه وبين كليوباترا بعد أن أقام في أنطاكية وأرسل إليها لتمضية الشتاء معها بين عامي 37-36ق.م فاشتركت معه في الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة انتصاراتهم على ملك السلوقيين.[46]

وتوجت هذه الشراكة السياسية والغرامية بزواج شرعي بينهما في نفس العام وقد تسبب هذا الزواج لأنطونيوس بمتاعب كثيرة منها:

1) أن القانون الروماني لا يعترف إلا بزوجة واحدة شرعية وكانت اوكتافيا هي زوجته الشرعية آنذاك.
2) القانون الروماني يحرم الزواج بأجنبية ولم تكن كليوباترا مواطنة رومانية.
3) زواج أنطونيوس لكليوباترا منحه لقب الملك الذي يكرهه الرومان.
4) اضطره هذا الزواج أيضًا إلى توسيع ملك البطالمة على حساب روما.
5) اعترف ببنوة التوأمين اللذين ولدا له من كليوباترا في سنة 40 ق.م ثم بولد آخر سنة 36ق.م فسمى التوأمين الكسندروس وكليوباترا وأطلق على الثالث اسم بطليموس فيلادلفوس، واعترف بشرعية ابن كليوباترا من يوليوس قيصر المسمى قيصرون.[47]

وقد انتهى هذا الزواج بنهاية مأسوية مؤلمة بمقتل كل من كليوباترا وأنطونيوس بعد هزيمتهم في معركة أكتوم سنة 31 ق.م على يد اكتافيوس أغسطس الذي أصبح أول إمبراطور لروما بعد سقوط النظام الجمهوري سنة 44 ق.م.

جـ - الرومان:

اعتمد الرومان في سياستهم الخارجية ومع كل الدول والممالك المجاورة لهم سياسة التوسع والقوة أحيانًا وأحيانًا أخرى سياسة الأحلاف والمعاهدات المؤقتة أو طويلة الأمد ولم يلجأ الرومان إلى أسلوب المصاهرات والزواج السياسي إلّا في حالات نادرة ـ تحدثتُ عنها سالفًا ـ وهي ارتباط يوليوس قيصر بكليوباترا ومن بعده ارتباط أنطونيوس بهذه المرأة أيضًا لنفس الأهداف.

وتجدر بي الإشارة هنا إلى أنه كان يقوم الكثير من النبلاء بتزويج بناتهم من القناصل والساسة الرومان والأمثلة هنا كثيرة مثل زواج انطونيوس من أوكتافيا أخت الإمبراطور

أغسطس وزواج أغريبا الصديق الأمين لأغسطس من ابنته جوليا بعد وفاة زوجها ثم زواج الأخيرة من يبريوس ابن زوجة أغسطس بعد وفاة أغريبا.

وفي سياق غير بعيد نجد الإمبراطور يبتميوس سيفروس المولود في لبتس ماجنا (لبدة) في ليبيا في 11 أبريل 145م يتزوج من جوليا دومنا ابنة أحد كبار الكهنة في سوريا[48]، وأنجب منها كاركلا وجيتا وعلى أن هذا الزواج لا يبدو فيه الأغراض السياسية الواضحة إلا أن الإمبراطورة وأبناؤها ولو ظهورهم للتقاليد الرومانية الأوروبية البالية وهدموا عقدة الاستعلاء الروماني القديم ووضعوا فلسفة حكمهم في الجيش وحده، وقد كانت الملكة دومناوفيه اذوات لأصولها ميول لجذورها الفنيقية على حساب روما. [49]

أفريقيا الرومانية (نوميديا ـ موريتانيا القيصيرية)

رتب أغسطس كليوباترا سليني (وجه القمر)ابنة كليوباترا السابعة من أنطونيوس لأن تتزوج من الملك الأفريقي الأمازيغي يوبا الثاني في روما حيث كان الأخير قد تلقى تعليمه منذ الطفولة في البلاط الإمبراطوري الروماني فنشأ يوبا وترعرع على الثقافة والتقاليد الرومانية، وأعطى الإمبراطور أغسطس كليوباترا كهدية زواج مهرًا كبيرًا وأصبحت حليفة لروما، وكان قد مات شقيقاها الأسكندر هليوس وبطلموس فيلادلفوس وبذلك أصبحت آخر أفراد الأسرة البطلمية وما تبقى من سلالة كليوباترا وقد حملت حقدًا دفينًا على أغسطس لكونه قاتل أبويها كلوباترا وانطونيوس على الرغم من نشأتها في قصره الأمبراطوري، لم يستطع يوبا وكليوباترا سليني العودة إلى نوميديا التي أصبحت ولاية رومانية في 46 ق.م، وأرسلا إلى موريطانيا التي كانت منطقة ثغور وبحاجة إلى متابعة رومانية وغيّر اسم عاصمتها إلى قيصرية وشرشال الحالية، الجزائر، تكريمًا للإمبراطور، وقيل أن كليوباترا سليني (كليوباترا القمر) كان لها تأثير كبير على سياسات يوبا الثاني ومن خلال نفوذها انتعشت المملكة المورتانية فقد صدرت مورتانيا

وتاجرت مع عالم البحر المتوسط وتدل الإنشاءات والمنحوتات في قيصرية وفولوبليس على تزواج العمارة المصرية القديمة واليونانية والرومانية.

كان لكليوباترا سيليني أبناء من يوبا هم بطلموس ودورسيلا وقد أدعت الملكة زنوبيا ملكة سوريا أنها حفيدة كليوباترا سليني.

لم يصلنا سوى القليل من المصادر المكتوبة عن حياة كليوباترا ولكن العُملات والصروح المتبقية تشير إلى أن كليوباترا كانت تتمتع بالإرادة الحديدية والمثابرة التي اشتهرت بها النساء البطلميات، ويبدو أنها استغلت قوة شخصيتها ونفوذها في تحقيق أهدافها في الثأر من قتلة والديها.[50]

خلف بطليموس والده يوب الثاني في الحكم في العام الأول ق.م ويعد آخر سلالة أباطرة البطالمة.

الخـــاتـمـــة

ـ توصلتْ هذه الدراسة لعديد من النتائج والحقائق فيما يتعلق بظاهرة الزواج السياسي في الحضارات القديمة وهي:

- أن هذه الظاهرة انتشرت وبدت أكثر وضوحًا في الحضارات الشرقية وخاصة في مصر القديمة.
- بداية داخل البلاط الملكي للمحافظة على العرش وعلى نقاء الدم الملكي.
- اعتمد فراعنة مصر القديمة أسلوب المصاهرات السياسية لتوطيد علاقاتهم مع الدول الأخرى والمحافظة على مصالحهم وحدودهم الخارجية.

- كما أن علاقات المصاهرة السياسية بين مصر والدول الأخرى كانت تتجدد باستمرار وتقريبًا على مرّ عصور الأُسر الفرعونية، وكانوا يقومون بتجديد المصاهرة بين مصر وأي دولة أخرى في حالة وفاة الفرعون أو وفاة ملك الدول التي ارتبطت معها مصر عن طريق المصاهرة السياسية.
- أن حالات الزواج السياسي في الحضارات الأخرى ـ من الرأي الشخصي للباحثة ـ ماهي إلّا محاكاة لحالات الزواج السياسي في مصر القديمة.
- وأن الزواج السياسي كان يقوم ما تقوم به السفارات والبعثات الدبلوماسية بل وأكثر من ذلك، حيث تربط الدولتين برباط الدم وما ينتج عنها أيضًا وجود أبناء يكوون انتماءهم منقسم بين الأب من جهة والأم من جهة أخرى بطبيعة الحال تمثل دولة أخرى لها مستقل ولها مطامح ومصالح مختلفة.
- ساهم الزواج السياسي في تقارب الشعوب وأدّى إلى الامتزاج الحضاري والثقافي والعِرقي، وربما خير مثال على ذلك زواج الاسكندر الأكبر من أميرات فارسيات والذي سُمي عبر التاريخ بزواج الغرب مع الشرق أو الزواج الذي صالح ما بين الإغريق والفرس من بعد عداوة تاريخية طويلة.
- تحقق عن طريق الزواج السياسي الكثير من الأهداف السياسية التي أرادت تحقيقها الدول التي اعتمدت على هذا النوع من العلاقات الإنسانية وهو ما تعجز عن تحقيقه في بعض الأحيان في ميدان الحروب أو عن طريق الغزو والاحتلال المباشر.
- يلجأ ملوك الدول الضعيفة إلى طلب المصاهرة السياسية مع ملوك الدول الأقوى طلبًا للحلف أو الدخول تحت حمايتها.

[1] ـ معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق ـ عملن، الأردن، ط3، 1994، ص54.

[2] ـ المرجع السابق، ص55.

[3] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ـ معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ـ دار النهضة العربية ـ بيروت، 1987، ص16 - 17.

[4] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ـ مرجع سابق ـ ص 173 - 174.

5ـ محمد أبو المحاسن عصفور ـ معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ص19.

6ـ قيس حاتم الجنابي، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار صفاء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ط1، 2014م.

7- محمد علي سعد الله، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، مركز الإسكندرية للكتاب، 2002، ص91.

8 - قيس حاتم الجنابي، مرجع سابق ص218.

*- الهكسوس: هم الملوك الرعاة وهم شعوب بدوية من أصول عمورية دخلت مصر من صحراء سيناء في فترة ضعف خلال حكم الدولة الوسطى تقريبًا في نهاية الأسرة الرابعة عشر.

9- سليم حسن - أبو الهول - سلسة المصريات - القاهرة - 1949 - ص84.

10- ويكيديا.wik.https//ar.m.wikipedia.org ، محمد علي سعد الله - مرجع سابق - ص241.

11- أحمد فخري - مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص277.

[12]- قيس حاتم الجنابي - تاريخ الشرق القديم، مرجع سابق ص239.

[13] - أحمد فخري - مرجع سابق - ص277.

*- الميتانيين: هم أقوام ازدهرت مملكتهم من 1475 - 1275 ق.م شمال نهري دجلة والفرات وهم من أصول هند وأوربية.

[14]- محمد علي سعد الله - مرجع سابق - ص259.

15- طه باقر - الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين - دار البيان - بغداد - ص486 - 487 - 451.

16- محمد علي عبد الله - مرجع سابق - ص265.

17- سليم حسن - مرجع سابق - ص90.

[18]- محمد علي سعد الله - مرجع سابق - ص 264-267.

*- أرزاوا: هي إحدى الدويلات المستقلة في الأناضول.

[19]- محمد أبو المحاسن عصفور- مرجع سابق، ص81.

[20] ـ محمد علي سعد الله ـ مرجع سابق ـ ص270-271.

[21] ـ طه باقر ـ مرجع سابق ص487.

[22]-محمد علي سعد الله مرجع سابق ـ 272 ـ 274.

[23]ـ المرجع السابق ص274.

[24] ـ محمد علي سعدالله ـ مرجع سابق ـ ص274- 293.

[25] ـ سامي سعيد أحمد، رضا جواد الهاشمي ـ تاريخ الشرق الأدني القديم ـ جامعة بغداد ـ بغداد ص293.

[26]ـ قيس حاتم الجنابي ـ مرجع سابق ـ ص 289 ـ 290.

[27]ـ محمد علي سعد الله ـ مرجع سابق ـ ص289 ـ 290.

28- قيس حاتم الجنابي ـ مرجع سابق ص309.

29- المرجع السابق ص309.

[30]ـ طه باقر ـ مرجع سابق ـ ص487.

*الميديين: كانوا من الأقوام التي استوطنت جبال زاجروس قديمًا.

[31] ـ قيس حاتم الجنابي، مرجع سابق، ص150.

[32] ـ wiki. https//arm.wikpedia. org ويكيديا الموسوعة الحرة.

[33]ـ حياة إبراهيم محمد ـ نبوخذ نصر الثاني ـ المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ بغداد ـ 1983 ـ ص48 ـ 52.

[34] ـ فوزي مكاوي ـ تاريخ العالم الإغريقي ـ المكتب المصري للتوزيع ـ القاهرة ـ 1999، ص227.

[35] ـ https .// mawdo3.com

[36] ـ المرجع نفسه ـ wki.htts// arzmwipedie , org,.

[37] ـ فوكس ويبرن ـ الاسكندر الأكبر ـ ط2 ـ دار ومطابع المستقبل الإسكندرية ـ ص 119.

[38] ـ https .// mawdo3.com، متوديوس زهيراتي ـ الاسكندر الكبير وفتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق ـ دار طلاس ـ 1999 ـ ص99.

[39] ـ أندرو روبرت برن ـ تاريخ اليونان ـ ت. محمد توفيق ـ بغداد ـ 1989 م، ص435.

[40] ـ وليم تارك ـ الإسكندر الأكبر ـ قصته وتاريخه ـ ترجمة ـ زكي علي ـ القاهرة ـ 1963م.

[41] ـ أيدرس بل ـ مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ـ ترجمة: عبد اللطيف أحمد علي ـ بيروت ـ 1973 ص41.

*ـ الدولة السلوقية: من إحدى الدول التي تأسست على يد سلوقس الملقب بيتاكاتور بعد موت الأسكندر المقدوني خلال القرنين الثالث والثاني ق.م وحكمت غرب آسيا حتى الهند

[42]. ـ طه باقر ـ مرجع سابق ـ ص 592.

[43] ـ سامي سعيد أحمد، رضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الأدنى القديم والأناضول ـ بغداد ـ ص137.

[44] ـ المعرفة https .// mawdo3.com.

[45] ـ الإسكندر الأكبر ـ المعرفة https .//m.marefa.org، إبراهيم رزق الله أيوب ـ التاريخ الروماني ـ منشورات جامعة سبها، ط الأولى، 1996- ص264.

[46] ـ زكي علي ـ كليوباترة سيرتها وحكم التاريخ عليها ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ص 11 ـ 19.

[47] ـ المرجع السابق.

[48] ـ سيد احمد الناصري ـ الإمبراطورية الرومانية ـ دار النهضة القاهرة ـ ط1 ـ 1974، ص346 ويكيديا الموسوعة الحرة septimius severus 'https`wiki، المعرفة .
https.//marefa. Org

[49] ـ المرجع السابق ص346.

[50] ـ كليوباترا سليني ـ المعرفة. https .//m.marefa.org.